تلك التعاليم مستترةً محجوبةً فيكشف العلم حقيقتها كما تراها في كتابه الآخر لا بل كشفوا عن نيّاتهم الكفريّة حتى في كتاب التلميذ مثلاً في الصفحتين ٢٣٠—٢٣١ حيث يقال انّ اعتقاد وجود الله واصل العالم واصل الانسان وغايتهُ كلّها مزاعم لا يمكن اثباتها ولا تتّفق عليها الآراء . فلينظر العقلاء من الشرقيين صدق قول ارباب تلك المدارس بان تعليمهم لا يمسّ الاديان وليتحقّقوا انّ اساقفة فرنسة عملوا بكل حكمة وصواب بتحريم كتب پايو وزملائه التي ألّفوها للمدارس العلمانية ولنقض كل دين لا بل قاموا باهمّ واجباتهم اذ رذلوها وشجبوها جازاهم الله خيرًا وصان بلادنا من الكفر

اين توفّيت السيّدة البتول

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

في احد اعدادنا السابقة (ص ٤٧٥) مدحنا كتابًا حديثًا في الفرنسويّة لحضرة قانوني القبر المقدّس الخوري حنا مرتا بيّن فيه صحّة رأي القائلين بانّ السيّدة العذراء مريم امّ الله لم تمت كما زعم البعض في افسس بل في اورشليم . وقرب وقوع عيد انتقال البتول في اواسط الشهر آب التالي رأينا ان نعود الى هذا البحث ونقرّر رأي حضرة المؤلف وندعمهُ ببعض الشواهد

*

انّهُ من المعلوم الثابت انّ مريم العذراء بنعمة حبلها الطاهر البريّ من الخطيئة الاصليّة كانت معفاةً من الموت الجسديّ الذي هو ثمرة الخطيئة الاصليّة (روم ٦ : ٢٣) لكنّ الله الذي اسلم ابنهُ الحبيب فداء عن العالم ولم يُعفهِ من الموت اراد ايضًا ان تكون البتول الطاهرة مثالًا للمؤمنين في موتها الصالح وذلك على خلاف زعم البعض انّها لم تمت وانتقلت الى السماء حيّةً . ولمّا كان الموت بابًا اجتازتهُ قبل ان تنال الجزاء الوافي عن اعمالها واتعابها ليس فقط في نفسها كبقية اولياء الله الابرار لكن في جسدها ايضًا اذ لم يشاء الربّ انّ ذلك الجسد الطاهر الذي منهُ كوّن الروح القدس جسد ابنهِ الالهي يُصاب بادنى فساد ومن ثمّ وقع بعثها من القبر بعد برهة وجيزة وانتقل جسدها الى السماء حيث ينال بصحبة جسد السيّد المسيح الاكرام والمجد اللائقين به قبل يوم

البحث الاخير. هذا ما اثبتهُ المشرق (١ : ٩٢٥) في مقالة لحضرة الخوري ميخائيل أَلوف بيَّن فيها حقيقة هذا السرّ بل اضاف اليها شيئاً عن مكان وقوعهِ دون ان يتَّسع في المقال فاقتضى استئناف البحث فنقول:

اوَّلاً انَّ الانجيل المقدَّس لم يُفدنا الَّا النزر القليل عن حياة السيّدة البتول بل سكت عنها تماماً بعد حلول الروح القدس على التلاميذ فسدًّا لهذا الخلل ينبغي لنا ان نتتبَّع آثار التاريخ والماديات النصرانية لعلَّنا نقف على الخبر الصحيح. وكان المسيحيُّون مدَّة اجيال متعدِّدة يرون انَّ وفاة امّ السيّد المسيح وانتقالها الى السماء قد جريا في اورشليم ولم يكد يقوم احد من العلماء لنقض هذا الواقع. الى ان ابدى في الامر شكًّا تيلمون (Tillemont) احد المؤرخين الفرنسويين في القرن السابع عشر وتبعهُ في قولهِ بعض المحدثين الذين اكتشفوا قريباً من افسس في الموضع المعروف بيناغيا كپولي على بعض آثار من كنيسة قديمة على اسم العذراء فزعموا انَّ هناك كان قبر القديس يوحنا الرسول وقبر السيدة. وأيدوا زعمهم برواية جملةٍ وردت في رسالة آباء مجمع افسس سنة ٤٣١ يقولون فيها انَّهم حرموا نسطور في تلك المدينة «حيث يوحنا الحبيب والعذراء امّ الله مريم القديسة» ففسَّروا هذا القول بان افسس تحتوي على قبري يوحنا ومريم البتول

غير انَّ هذا الرأي الحديث لم يزل حتى الان ضعيفاً اذ انَّ آثار الكنيسة لا تدلّ ضرورةً على وجود القبرين كما زعموا فضلاً عن انَّ قول آباء المجمع يمكن تأويلهُ على غير طريقة بأن يقال مثلاً «حيث يُكرم يوحنا الحبيب ومريم ام الله»

ولا يلزم قولهم بان يوحنا الحبيب كما روى في انجيلهِ (١٩ : ٢٧) بعد ان اوصاهُ السيد المسيح على الصليب بأمهِ اخذ مريم الى خاصَّتهِ فتكون البتول رافقتهُ في سفرهِ الى افسس فعاشت معهُ الى موتها هناك. لأنَّ يوحنا لم ينتقل من بلاد اليهوديَّة الى أفسس الَّا بعد تفرُّق الرسل ورحلتهم النهائيَّة الى بلاد المعمور ليبشروا بالسيد المسيح. والرأي الغالب اليوم انَّ ذلك لم يتمّ الَّا بعد السنة ٥٠ للميلاد اعني بعد انشاء كنائس اليهوديَّة والجليل والسامرة وبعد عودة الرسولين بولس وبرنابا من رسالتهما في جهات آسية الصغرى وعقد المجمع الاورشليمي لحلّ مشكل السنن اليهوديَّة هل تلزم المتنصِّرين من الامم ام لا. فان كان الامر كذلك لا بُدَّ من القول بانَّ مريم العذراء لم ترحل قطّ الى افسس

لأنَّ معظم التقاليد القديمة تثبت انَّ حياة البتول لم تتجاوز ٦٥ سنة فتكون وفاتها وقعت قبل تفرُّق الرسل وقبل رحلة القديس يوحنا من فلسطين. وبهذا لا يبقى داعٍ للقول بانها رافقت يوحنا الى افسس. وهذا الامر قد بيَّنهُ حضرة الخوري مرتا في فصل واسع وأيَّدهُ بشواهد الآباء والمفسرين بحيث لا يبقى وجه لانكاره.

اما الرأي الآخر الذي يجعل في القدس الشريف وفاة البتول وانتقالها الى السماء فانهُ اقدم واثبت واعمّ. والادلَّة على ذلك منها تاريخية ومنها طقسيَّة ومنها اثريَّة

١ (الادلة التاريخية) اقدم شاهد تاريخي صريح على وفاة البتول وانتقالها في القدس الشريف يرتقي الى نحو السنة ٣٨٠ وهو للزائرة ساقيا او بالحري ايتيريا (Gamurrini: *s. Silviæ Peregrinatio, p.* 128) حيث قالت انَّ مريم العذراء توفيت في جبل صهيون. ويليه شاهد آخر في السنة ٤٥١ للمسيح وهو مدوَّن في كتاب لبطريرك اورشليم يوفنال ارسلهُ الى الملك مرقيان على ما روى نيقيفورس المؤرخ (ك ١٥ ف ١٤) وكان مرقيان سأل البطريرك اين دُفن جسد العذراء مريم فاجاب البطريرك انَّ جسد البتول نُقل الى السماء اما مكان دفنه ففي بستان الجسمانية في سفح جبل الزيتون

ولنا في القرن السادس شاهد لاحد قدماء السيَّاح وهو الشهير بأنطونين دي بلزنسة رحل الى الاراضي المقدَّسة سنة ٥٧١ فيروي انهُ زار كنيسة مريم في وادي الجسمانية حيث يُرى قبر البتول الذي فيهِ وُضع جسمها الطاهر قبل ان يُنقل الى السماء.

وهذه الشواهد مقرَّرة ساطعة لا يمكن انكارها. ولنا مع ذلك ادلَّة أخرى تبيِّن انَّ هذا التقليد يرتقي الى ما وراء القرن الرابع ايضاً وذلك في كتاب عربي يُدعى اخبار يوحنا السليح في نقلة امّ المسيح سمي في طبعهِ مكسمليان إنجر (Max. Enger) في المانية سنة ١٨٥٤. وهذا الكتاب منسوب زوراً الى احد آباء الكنيسة في القرن الثاني وهو مليتون من سردي لكنَّهُ قديم جداً وقد بيَّن المتولي لطبعهِ انهُ كُتب في اليونانية في القرن الرابع ونقل صاحبهُ اشياء كثيرة عن كتاب أقدم منهُ يرتقي عهدهُ الى القرن الثالث. وهذا الاثر يحتوي بالتفصيل خبر وفاة العذراء مريم ثمَّ انتقالها الى السماء في اورشليم بحضور الرسل الّا توما الذي حضر بعد وفاتها بثلاثة أيام فلما طلب ان يُفتح قبرها ليودّعها الوداع الاخير وُجد القبرُ فارغاً فتحقَّقوا انَّ الجسد نُقل الى السماء. ومثل هذا ما روي لديونسيوس الاريوباجي تلميذ الرسل الّا ان العلماء تحقَّقوا ان

الكتب المنسوبة اليه وُضعت في القرن السادس

وفي هذا القرن السادس عينه نجد شواهد أخرى تاريخية منها رواية القديس غريغوريوس لسقف طور المؤرخ الاوّل لشعب الفرنج (PP. LL, tom. 74, p. 708) وهو يُصرّح بوفاة العذراء وانتقالها في المدينة المقدّسة

اما القرنان السابع والثامن فانّ الشواهد المثبتة لما نحن في صدده لمتعدّدة وردت لكتبة مختلفين جنساً وبلداً ولغةً كايزيدورس الاشبيلي وألديفنسوس واندراوس الاقريطشيّ وجرمانوس القسطنطيني وبيدا المكرّم ويوحنا الدمشقي وغيرهم ايضاً . وفي كلام يوحنا الدمشقي ما يُشعر بانهُ روى عن مصادر موثوق بها واخبار عريقة في القدم

ولا نتتبّع بعد هذه النصوص روايات المؤرخين لكثرتها وانما نخصّ بالذكر الشواهد العربية . منها ما نقلناهُ في المشرق (٧ : ٤١٠) عن كتاب يُنسب للقديس اثناسيوس وهو نصّ جليل اتّسع فيه كاتبهُ عن تفصيل نياحة امّ الله وقبرها في الجسمانية وانتقالها الى السماء

وقال المقدسي في كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ١٧١ من طبعة ليدن) : « وادي جهنم ... فيه بساتين وكروم وكنائس ... وسطه كنيسة على قبر مريم » . ومثلهُ مجير الدين الحنبلي في كتاب الانس الجليل (٢ : ٤١١) ذكر « قبر مريم في كنيسة في داخل جبل طور زيتا تسمّى الجسمانية وهو مكان مشهور يقصدهُ الناس للزيارة من المسلمين والنصارى وهذه الكنيسة من بناء هيلانة ام قسطنطين »

وفي تاريخ ابن الراهب الذي همنا بطبعه في مجموع كتبة النصارى الشرقيين (٥٢ — ٤٨) يقال انّ تاودوسيوس الكبير « هو الذي بنى كنيسة الجسمانية »

وقال الادريسي في نزهة المشتاق (Palaestina, *ed. Gildemeister*, 8) : « واذا خرجتَ من باب الاسباط سرت في حدود (حدور) مقدار رمية سهم فتجد كنيسة كبيرة حسنة جدًّا على اسم السيّدة مريم ويعرف المكان بالجسمانيّة وهناك قبرها »

وفي تاريخ مخطوط للقدس الشريف من مخطوطات مكتبتنا الشرقية يرتقي الى نحو ٣٠٠ سنة لاحد المسلمين (ص٧٣) : « ولما ماتت مريم عليها السلام دُفنت بالكنيسة المعروفة بالجسمانية خارج باب الاسباط في ذيل جبل طور زيتا وهو مكان مشهور يقصدهُ الناس للزيارة من المسلمين والنصارى »

٢ (الادلة الطقسيَّة) من اثبت الادلة التي تؤيّد رأي القائلين بموت العذراء في اورشليم الاعياد الطقسيَّة التي تحتفل بها الكنائس الشرقيـة والغربيَّة. انهُ من الامور المقرَّرة التي يمكن اثباتها بالشواهد الناطقـة انَّ كنائس الشرق والغرب كانت تقيم عيدًا حافلًا لوفاة العذراء وانتقالها الى السماء منذ اواخر القرن السادس وكان هذا العيد المدعو في الغالب نياح العذراء واقعًا في ١٨ كانون الثاني فامر ملك الروم موريق (٥٨٢ —٦٠٢) ان يُنقَل الى ١٥ آب. الا انَّ الملك المذكور في رقيمهِ يذكر انَّ هذا العيـد كان معروفًا في السابق. وكذلك البابا سرجيوس (٦٨٧—٧٠١) يذكرهُ كعيـد قديم. ولعلَّنا لا نتجاوز حدود الحق ان قلنا ان هـذا العيد يرتقي الى القرن الخامس بل الى اواخر القرن الرابع ويثبت هذا الرأي وجود العيد في الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة منذ القرن الخامس كاليعاقبـة والنسطرة. وفي صلوات كل هذه الكنائس وطقوسها ما يُشعر بان موت العذراء وانتقال جسمها الى السماء قد وقعا في اورشليم. وقد جمع العلَّامة بومشتارك (Baumstark) في مجلة الشرق المسيحي (Oriens Christianus, IV, 371—392) عددًا وافرًا من النصوص الطقسيَّة في السريانيَّـة والكلدانية والقبطيَّة والروميَّة تثبت الامر باجلى برهان

ويُضاف الى هذه الشواهد اناشيد وتسابيح قديمة في طقوس الحبشـة والارمن. والرأي العام ان احدى التسابيح التي ينشدها الموارنة والسريان في يوم عيـد السيِّدة مؤلفها القديس افرام في القرن الرابع وفيها ذكر اورشليم (١

٣ (الادلَّة الاثريَّة) اقدم دليل اثري انما هو كنيسة الجسمانيَّة حيث يُرى قبر العذراء فارغًا وهذه الكنيسة اليوم في ايدي الروم الارثدكس. وقد مرَّ لنا في الشواهد التاريخية انَّ ذكرها يرتقي الى الجيل الرابع

ومن الآثار التي تدعم هذا المذهب عدَّة تصاوير بوزنطية تُرى في كنائس

---

١) الطلب في مجلَّة الابحاث مقالة واسعة في عيد انتقال العذراء ومـا يتوط بهِ من الآثار للخوري العلامة لوهير Etudes religieuses, 1866, 514—535 L'abbé le Hir: *De l'Assomption de la Ste Vierge et les divers apocryphes qui s'y rapportent.* واطلب ايضًا مجلَّة الشرق المسيحي (Orient Chrétien. 1910, p. 162) مقالة في آثار جديدة عن نياح العذراء

القسطنطينيّة وفي اديرة جبل اتوس وفي نقوش بعض كنائس اليعاقبة وفي كلّها تجد البتول مصوّرة على رشك وداع الحياة الزائلة وحولها الرُّسل والاصدقاء من نساء ورجال فترى لباسهم وهيئتهم كهيئة اليهود فكلّ ذلك يبيّن انّ المصوّر اراد الدلالة على اورشليم لا على افسس او غيرها (راجع المقالة السابق ذكرها لبومشتارك (١)

فهذه الدلائل على ما نظنّ كافية لتنفي كل شكّ عن مكان وفاة العذراء وانتقالها الى السماء. وعلى كل حال هي مرجّحة على الادلة التي يستند اليها المدافعون عن أفسس فانّ حجّتهم لا تُقنع البتّة والله اعلم

مطبوعات شرقيّة جديدة

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH DE BEYROUTH, MÉLANGES DE LA FACULTÉ ORIENTALE, III, 2, pp. 454, et IV, 505, *Beyrouth, Imp. Catholique*, 1909-1910

طرف لاساتذة المكتب الشرقي في كلّية القديس يوسف

وصلنا لقرّائنا (في المشرق ١١: ٩٥) الثلثة الاجزاء الأولى لهذه الطرف العلميّة التي باشرها مكتبنا الشرقي منذ خمس سنوات فاستلفتت اليها انظار علماء الغرب حتى اطرأوها في مجلاتهم الاختصاصيّة فنشّطوا عزائمنا وحضّونا على مواصلتها. وهاذان الجزءان ثمرة اشغال اساتذة كلّيتنا في العام المنصرم والعام الحالي. ومن اطّلع على مقالاتها يتحقّق انهما يجاريان اعمال افاضل المستشرقين بكثرة موادّهما وتفنّن علومها والتدقيق في ابحاثها. ومن العلوم التي نالت حظًّا وافيًا في هذين الجزءين الآثار الكتابيّة المختلفة في انحاء الشام كالكتابات العربية في جبل الطور للاب لامنس. والكتابات اللاتينية واليونانية للايرين جلابرت وموترد. والكتابات الارامية في التدمريّة والفينيقية للاب س. رتژال. ومنها علم العاديات كشف من اسرارها اشياء كثيرة الاب رتژال المذكور. ومنها علم التاريخ الشرقي في نحو ١٥٠ صفحة للاب لامنس. ومنها علم الآثار الادبية كحماسة البحتري التي نشرها الاب لويس شيخو واردفها بالحواشي والروايات. وكالرسالة الدرزيّة الموسومة بالقسطنطينية نشرها الاخوان يوسف خليل ولويس رتژال

(١) اطلب ايضًا معجم الاثريّات المسيحيّة والليتورجية Diction. d'Archéologie chrétienne et de Liturgies, *art.* ASSOMPTION